التناسب
في سورة التحريم

✍ إعداد الباحثة

أسماء أحمد مسفر الوادعي

تخصص بلاغة ونقد، قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الثالث (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

التناسب في سورة التحريم

أسماء أحمد مسفر الوادعي

قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : asma-alwadi123@hotmail.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف كان منها: إبراز أهم مقاصد السورة وموضوعاتها، وبيان كيفية استنباط هذه المقاصد والموضوعات، ومن ثم الاستعانة بها في فهم النظم الرباني واستنباط أحكامه. بيان أثر نظم السورة في تناسب معانيها، والكشف عن أثر ذلك التناسب في توجيه المعنى في السورة. محاولة ربط الحياة المعاصرة بهدايات السورة ومعالمها، وتقديم حلول لبعض المشاكل الأسرية والمجتمعية. وللوصول إلى تلك الأهداف اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي. وأبرز ما توصلت إيه الدراسة من نتائج: ١- الحديث عن التناسب في القرآن حديث رائع ومشوق؛ لأنه علم يعرف به علل ترتيب سور القرآن. ٢- أهمية البحث في مناسبات القرآن الكريم؛ لعظيم أثره في إظهار معاني القرآن وفي إبراز هذا الوجه من وجوه إعجازه، وهذا ما تجلى لي في بحثي هذا. ٣- التكامل والترابط العجيب بين السورة والسورة التي قبلها (الطلاق) وبعدها (الملك). ٤- الانسجام الكلي بين اسم السورة ومحورها وبين فاتحتها وخاتمتها وبين آياتها وصولاً إلى الانسجام بين رؤوس آياتها وفواصلها، فالسورة في مجموعها تمضي في سياقات متآلفة، وبأسلوب مترابط ومتناسق. ٥- التناسق بين موضوعات السورة فكلها كانت تهدف إلى رسم هدايات ومعالم تسهم في تربية الأسرة وبناء المجتمع المسلم. ٦- اتبعت السورة في التربية أسلوب ضرب الأمثال. ٧- اتكأ النظم في تلك السورة المباركة في الربط بين الآيات على وسائل معنوية ولفظية. ومما أوصت به الباحثة في ختام هذا البحث التوجه إلى مثل هذا النوع من الدراسات القرآنية والجديرة بالبحث والتأمل وذلك لإثراء ميدان الدرس القرآني وتقديم النفع والفائدة

الكلمات المفتاحية : سورة التحريم، التناسب، أسلوب ضرب الأمثال، المشاكل الأسرية والاجتماعية.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٢٤٣٠

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Proportionality in Surat Al-Tahrim

Asma Ahmad Mesfer Alwadei

Department of Arabic Language, College of Arabic Language, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University. Kingdom of Saudi Arabia .

Email: asma-alwadi123@hotmail.com

Abstract

The study aimed to achieve a number of goals, including: highlighting the most important purposes of the surah and its topics, and explaining how to derive these purposes and topics, and then using them to understand the divine systems and elicit its provisions. Explanation of the effect of the surah's systems in the proportionality of its meanings, and the disclosure of the effect of that proportionality in directing the meaning in the surah. Attempting to link contemporary life with the gifts and landmarks of the surah, and to provide solutions to some family and societal problems. In order to reach these goals, the research relied on the descriptive analytical method. The most prominent findings of the study are: 1- The talk about proportionality in the Qur'an is a wonderful and interesting hadith; Because he knows the reasons for the arrangement of the surahs of the Qur'an. 2- The importance of research on the occasions of the Noble Qur'an; It has a great impact in revealing the meanings of the Qur'an and in highlighting this aspect of its miraculousness, and this is what became clear to me in this research. 3- The amazing integration and interdependence between the surah and the surah before it (Al-Taalak) and after it (AL-Moolk). 4- The overall harmony between the name of the surah and its center, and between its opening and closing, and between its verses, leading to the harmony between the heads of its verses and their commas. 5- Consistency between the topics of the surah, all of which were aimed at drawing gifts and landmarks that contribute to raising the family and building the Muslim community. 6- In education, the surah followed the proverbial method. 7- The systems in that blessed surah depended on linking the verses on moral and verbal means. And what the researcher recommended at the conclusion of this research is to go to this kind of Quranic studies that are worthy of research and contemplation in order to enrich the field of Quranic study and provide benefit and benefit.

Keywords: Surat Al-Tahrim, Proportionality, Proverbs, Family and Social Problems.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الحكيم، الذي أنزل القرآن العظيم، تبياناً لكل شيء، وهداية للطريق القويم، والصلاة والسلام على من نزل على قلبه فبلغه البلاغ المبين، فكان رحمةً للعالمين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فهذا بحث في البلاغة القرآنية، أسمى بلاغة أُنعم فيها النظر، وأعمل فيها الفكر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والذي أسأل الله أن يوفقني فيه إلى السداد في القول، وأن يجنبني زلل اللسان، والخوض فيما لا أعلم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

لاشك أن سورة التحريم هي إحدى السور التي وقع بها التحدي للأمم السابقة واللاحقة بما تضمنته من وجوه معجزة ظهر بعضها في تلاحم النظم، وقوة السبك، ذلك على اختلاف موضوعاتها وتعدد أحكامها، وفوق هذا التلاؤم والإحكام يروعك فيها جمال التعبير، واكتمال المقصد، وهذا ما سيحاول البحث استقصاءه – بإذن الله – وذلك بالكشف عن وجوهه وأسراره، وأبعاده ومراميه في تلك السورة المباركة.

وتظهر أهمية الموضوع واضحة من خلال الأمور التالية:

١– أن الوقوف على التناسب في السور، وإظهار الترابط في نظمها، والعلائق بين موضوعاتها مما يعين الباحث على تأمل معاني ذلك الكتاب الكريم، وتدبر آياته، ومن ثم يتخذ هذا التفكر والتدبر منهج حياة، يتعامل به مع كافة النصوص.

٢- أن دراسة التناسب في السور يسهم في إبراز جانب من جوانب الإعجاز في القرآن، وهو التناسب بين أجزائه والتآلف والانسجام في نظمه، فيُرَد بذلك على منكري التناسب في القرآن بحجة أنه نزل منجماً حسب الأحداث والوقائع.

وأما ما دعاني لاختيار الموضوع فأجمله فيما يلي :

١- الرغبة في تدبر تلك السورة، والتأمل في معانيها، ومعرفة أحكامها، لاسيما وأنها أحكام تتعلق بتربية الفرد والأسرة والجماعة، وتسهم في بنائها.

٢- الرغبة في الكشف عن الروابط النظمية بين آيات هذه السورة، ومعرفة أثرها في بلاغتها وتجلية معانيها على وجهها الصحيح.

٣- التعرف على علاقة السورة بما قبلها وبما بعدها؛ للوقوف على الحكمة الربانية في ترتيب السور، ولإثبات توقيفية ذلك الترتيب، وأنه لم اعتباطاً ولا اجتهادياً كما يظن البعض.

هذا وقد سعيت من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف كان منها:

١- إبراز أهم مقاصد السورة وموضوعاتها، وبيان كيفية استنباط هذه المقاصد والموضوعات، ومن ثم الاستعانة بها في فهم النظم الرباني واستنباط أحكامه.

٢- بيان أثر نظم السورة في تناسب معانيها، والكشف عن أثر ذلك التناسب في توجيه المعنى في السورة.

٣- محاولة ربط الحياة المعاصرة بهدايات السورة ومعالمها، وتقديم حلول لبعض المشاكل الأسرية والمجتمعية.

وللوصول إلى تلك الأهداف اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي، ومن المهم أن أشير في حديثي عن منهج البحث إلى الأمور التالية:

- ذكرت المرجع دون المؤلف، واكتفيت في ذلك بفهرس المصادر والمراجع.

- لم أضع فهرساً للآثار لخلو البحث منها.

- ذكرت تخريج الآيات في المتن حتى لا تكثر الحواشي.

وكان من أبرز الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد البحث:

١- ندرة المفسرين الذي أشاروا إلى مظاهر التناسب الداخلي في السورة، والذين أشاروا إليه اختلفت مصطلحاتهم في التعبير عنه ما بين خفية وظاهرة .

٢- الربط بين أقوال المفسرين هذه التي قد تتقارب أحياناً، وتتقاطع أحياناً أخرى.

٣- اهتمام أغلب كتب المناسبات بالمناسبات الخارجية دون الإشارة إلى المناسبات الداخلية.

ولقد استطعت بفضل من الله ومنة تجاوز تلك الصعوبات، وسرت على الخطة التالية:

مقدمة: وأشرت فيها إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وصعوبات البحث، ومنهجه، وخطته.

تمهيد: وتحدثت فيه عن ركني الموضوع:

- علم التناسب
- سورة التحريم

ثم قسمت البحث إلى مبحثين:

الأول: وتحدثت فيه عن التناسب على المستوى الخارجي للسورة، من خلال ربطها بالسورة التي قبلها، والتي بعدها، وأيضاً مع فاتحة الجزء على أساس أنها تمثل خاتمة الجزء، فجاءت مطالبه على النحو التالي.

- المطلب الأول: التناسب مع سورة الطلاق
- المطلب الثاني التناسب مع سورة الملك

وأما الثاني: وتحدثت فيه عن التناسب على المستوى الداخلي للسورة الداخلي، الاسم والمحور والفاتحة والخاتمة والآيات ورؤوسها وفواصلها، فجاءت مطالبه على النحو التالي:

- المطلب الأول: التناسب بين اسم السورة ومحورها
- المطلب الثاني: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها
- المطلب الثالث: التناسب بين الآيات.
- المطلب الرابع: التناسب بين رؤوس الآيات وفواصلها

الخاتمة: وتضمنت خلاصة البحث، وأبرز النتائج التي توصل إليها، وكذلك أهم التوصيات والمقترحات.

تمهيد:

يعد التناسب أساساً من أسس الجمال في التعبير، لاسيما إذا وقع موقعه اللازم، فلم يتكلف له، ولم يكن هو الغاية المنشودة ، مصحوباً بوضوح المعاني وصوابها.

وفي مستهل حديثنا عن التناسب وقيمته الجمالية والبيانية في سورة التحريم يحسن بنا أن نلم إلماماً موجزاً بعلم المناسبة، وسورة التحريم.

* علم التناسب:

التناسب في اللغة: هو التشاكل، ويقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل، والنسيب هو المناسب(١).

وأما تعريف التناسب في القرآن فيقصد به "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"(٢).

ظهر علم المناسبات في أوائل القرن الرابع الهجري، وكان أول من أظهره أبو بكر النيسابوري(٣) في بغداد، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب

---

(١) ينظر: مادة " نسب"، تاج العروس: ٢٦٥/٤، والقاموس المحيط: ١/ ١٣٧، والمعجم الوسيط: ٩١٧/٢

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٣٦٩/٣

(٣) أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، برع في العلمين: الحديث والفقه، كان إمام الشافعيين في عصره بالعراق، مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاث مائة عن بضع وثمانين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١/ ٣٨١.

هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يـزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة[١].

غير أن هذا العلم على جلال قدره، وعظيم نفعه، لم ينل الكثيـر مـن اهتمام العلماء، " فلم يظهر التأليف إلا في أواخر القرن الثامن للهجرة، حين ألف ابن الزبير الغرناطي [٢]كتابه" البرهان في ترتيب سور القرآن"[٣].

وأشهر من كتبوا في هذا العلم بعد الغرناطي، البقاعي [٤]في كتابـه " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، والسيوطي [٥]في ثلاثة كتـب: الأول سماه "أسرار التنزيل " والثاني " تناسق الدرر في تناسب السور " والثالث " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع "[٦].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٣٦٩/٣

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر،محدث ومؤرخ، من أبنـاء العـرب الداخلين إلى الأندلس، انتهت إليه الرئاسة بها في العربيـة وروايـة الحـديث والتفسـير والأصول، ولد في جيان، وتوفي في غرناطة عام٧٠٨هـ، له عدة مصنفات منها:"صلة الصلة "و"ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل" والكتاب المذكور.ينظر:الأعلام:١/ ٨٦.

(٣) التناسب البياني في القرآن – دراسة في النظم المعنوي والصوتي: ٣٤

(٤) إبراهيم بن عمرو بن حسن الرباط، مؤرخ، أصله من البقاع في سورية، تـوفي بدمشـق سنة٨٨٥ه، له كتب في التاريخ والسبرة والتفسير والكتاب المذكور. ينظر: الأعلام:٥٠/١

(٥) عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد السيوطي، يلقب بجلال الدين، ولد بالقـاهرة عام ٨٤٩، برع في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، ولـه عـدة مصنفات، توفي ٩١١ه. ينظر: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهـوده فـي الدرس اللغوي: ٩١ وما بعدها.

(٦) التناسب البياني في القرآن: ٤٣

* سورة التحريم:

يسميها بعض المفسرين بسورة المتحرم [١]، وتسمى أيضاً بسورة "النبي"[٢]، ويسميها ابن مردويه سورة المُحَرِّم [٣]، وكذلك يقال لها " سورة لم تحرم"[٤]، وروي عن ابن الزبير [٥]، أنه قال: أنزلت بالمدينة سورة النساء "يا أيها النبي لم تحرم "[٦].

هي سورة مدنية باتفاق أكثر أهل العلم [٧]، ويبلغ عدد آياتها اثنتي عشرة آية، ويقال: إنها نزلت بعد سورة الحجرات [٨]، وقد ورد عن قتادة [٩] أن المدني منها إلى رأس العشر، والباقي مكي [١٠]، وقيل: إن السورة محكمة؛ لا ناسخ فيها ولا منسوخ[١١].

---

(١) مجاهد في تفسيره: ٦٦٥
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/٥
(٣) السابق: ٥/ ٢٩٧
(٤) روح المعاني:١٤/ ٣٤١
(٥) الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. ويكنى أبا بكر، أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة، توفي في مكة بعد أن حاصره الحجاج فيها سنة ثلاث وسبعين. ينظر: الأعلام:٣٠/٢ وما بعدها.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٩٧
(٧) المكي والمدني في القرآن الكريم: ٢٠٦
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٣٨٩
(٩) قتادة بن دعامة السدوسي، يكنى أبا الخطاب، وكان ثقة مأمونا حجة في الحديث، توفي قتادة سنة سبع عشرة ومائة.ينظر: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٧١-١٧٣.
(١٠) روح المعاني: ١٣٦/٢٨
(١١) بصائر ذوي التمييز: ٤٧١/١

اختلف العلماء في سبب نزول صدر هذه السورة على أقوالٍ عدة؛ منها:

القول الأول: ما رواه البخاري [١]في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله – ﷺ – يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فواطيت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدا»[٢].

القول الثاني: ما ذكره الطبري[٣]. من أن رسول الله -ﷺ- أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه؛ قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي! فجعلها عليه حراماً؛ فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟!، فحلف لها بالله ألا يصيبها[٤].

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدا لله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى، قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء، وللبخاري مصنفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح، أقام في بخارى فتعصب عليه جماعة ورموه بالتُّهم فأخرجه أمير بخارى إلى خَرتَنك قرية من قرى سمرقند، فمات فيها. ينظر: تاريخ بغداد: ٣٢٢/٢.

(٢) كتاب التفسير، باب { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } رقم (٤٩١٢): ١٥٦/٦، المغافير: صمغ كالعسل له رائحة كريهة، ينظر: غريب الحديث:٢/ ١٥٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر:٣/ ٣٧٤.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ولد بطبرستان، أثنى العلماء على الطبري كثيرًا، فقالوا: إنه ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بتفسير الطبري، توفي في بغداد. ينظر:وفيات الأعيان: ١٩١/٤.

(٤) جامع البيان: ٢٣/ ٤٧٥

القول الثالث: ما ذكره الصنعاني [١]عن هشام بن عروة [٢]عن أبيه، قال: كان النبي – ﷺ– إذا صلى الصبح دخل على أزواجه امرأة امرأة فسلم عليهن، وكانت حفصة قد أهدي لها عسل وكان النبي –ﷺ– إذا دخل عليها جعلت له من ذلك العسل فسقته منه، فيجلس عندها فغارت عائشة فجمعتهن، فقالت لأزواج النبي –ﷺ– امرأة امرأة إذا دخل عليكن رسول الله – ﷺ – فقولي له ما هذه الريح التي أجدها منك يا رسول الله، أأكلت مغافير؟ فإنه سيقول: سقتني حفصة عسلاً ، فقولي: جرست نحله العرفط، قال: فدخل على سودة ، قالت: فأردت أن أقول له قبل أن يدخل خوفاً من عائشة، قالت: فلما دخل قلت: ما هذه الريح التي أجدها منك يا رسول الله أأكلت مغافير؟ قال: «لا ولكن سقتني حفصة عسلاً » فقلت: جرست نحله العرفط، ثم دخل عليهن امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك، ثم دخل على عائشة، فقالت له أيضا ذلك ، فلما كان الغد دخل على حفصة فسقته فأبى أن يشربه وحرمه عليه، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة التحريم:١].[٣].

---

(١) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، ولد بمدينة كحلان، مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن، له عدة مصنفات، توفي بصنعاء سنة ١١٨٢ه.ينظر: الأعلام: ٣٨/٦.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد. ويكنى أبا المنذر، وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة. وفد على أبي جعفر المنصور بالكوفة ولحق به ببغداد فمات بها ١٤٦ه. ينظر: الطبقات الكبرى: ٢٣٣/٧.

(٣) تفسير القرآن: ٣٢٢/٣

ولم يصح من ذلك إلا ما رواه البخاري، وهذا ما أشار إليه ابن كثير[١] في تفسيره حيث يقول:" والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري"[٢].

وقبل أن نشير إلى مقصد السورة تجدر الإشارة إلى أنه مما ينبغي التفطن إليه والعناية به هو الفرق بين مقصود السورة وموضوعاتها، فالموضوع هو مجرد إشارة إلى الموضوعات التي وردت في السورة وعددها، في حين أن مقصد السورة هو الغرض العام أو الغاية الكلية للسورة، والعلاقة وثيقة بين الأمرين، فلن يُتَوصل لذلك الغرض أو المقصد العام إلا بالمعرفة الأولية لموضوعات السورة، ومما يلفت النظر أن بعض المفسرين يعبر بالمضمون عن مقصد السورة، وبعضهم لا يُعْنى بالإشارة إلى ذلك في تفسير السورة، ومنهم من يدل عليه دلالة ضمنية.

ومن هذا المنطلق فإن مقصود السورة كما ذكره البقاعي هو "الحث على تقدير التدبير في الآداب مع الله ومع رسوله، لاسيما للنساء اقتداء بالنبي – ﷺ – في حسن عشرته، وكريم صحبته، وبيان أن الأدب الشرعي تارة يكون باللين، وأخرى بالسوط وما داناه، ومرة بالسيف وما والاه "[٣].

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن كثير، ولد سنة إحدى وسبعمائة، له عشرات المؤلفات في شتى الميادين العلمية، وبشكل خاص في التاريخ والتفسير والحديث، توفي ابن كثير في يوم الخميس ٢٦ شعبان من سنة ٧٧٤ هـ. ينظر: البداية والنهاية: ١٤/٣٢-٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ١٨٢

(٣) مصاعد النظر إلى مقاصد السور: ٣/١٠٠

وهو ما يسميه الفراهي [١] عمود السورة فيقول:" عمود السورة هو الاحتساب والتشمير له"[٢].

أما موضوعات السورة فهي تدور السور حول ما يلي:

١- عتاب النبي - ﷺ - بتحريم ما أحل الله دون الاستناد في ذلك التحريم إلى دليل رباني، وإنما كان محاولة إرضاء الغير وراء هذا التضييق على نفسه.

٢- تأديب الزوجتين المتظاهرتين، وبيان عقوبة ذلك التظاهر.

٣- حث الرعاة وأولياء الأمور على الأخذ بحجز رعاياهم عن النار، والابتعاد عنها.

٤- حث المؤمنين على التوبة النصوح الخالصة، وبيان مصير ذلك.

٥- أمر النبي بجهاد الكفار والمنافقين باللسان والسنان والغلظة عليهم في ذلك.

٦- بيان أن القرابة لا تغني عن المرء من الله شيئاً، فليس له إلا ماقدم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

٧- بيان أن مجاورة الطالحين لا تضر إذا وقر الإيمان في القلب،

---

(١) هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر الفراهي، حميد الدين، و"الفراهي" نسبة إلى قريته التي كانت مسقط رأسه، واسمها "فَريها"، وهي من قرى "أعظم كره " أحد أضلاع الإقليم الشمالي في الهند، حفظ القرآن، كان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوعة، فقده برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، توفي عام ١٣٤٩هـ. ينظر: مفردات القرآن: ١٣ وما بعدها.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: ١٨٤

وصدقته الجوارح، فلا تزر وازرة وزر أخرى.

٨- بيان عاقبة الصبر، وما أعده الله للصابرين في سبيله الصامدين أمام وجه الطغيان.

٩- التأكيد على عفة مريم ابنة عمران وطهرها، وتصديقها وطاعتها.

يقول الفيروز آبادي [١] في بيان موضوعات السورة:"معظم مقصود السّورة: عتاب الرّسول – ﷺ – في التَّحريم والتحليل قبل ورود وَحْي سماوي، وتعيير الأَزواج الطَّاهرات على إِيذائه وإِظهار سره، والأَمر بالتحرز والتجنب من جهنم، والأَمر بالتوبة النصُوح، والوعد بإِتمام النور في القيامة، والأَمر بجهاد الكفار بطريق السياسة، ومع المنافقين بالبرهان والحجّة، وبيان أَن القرابة غير نافعة بدون الإِيمان والمعرفة، وأَن قرب المفسدين لا يضر مع وجود الصّدق والإِخلاص، والخبر عن الفُتُوّة، وتصديق مريم بقوله: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} "[٢].

(١) مجد الدين الفيروز آبادي محمد ابن يعقوب، ولد في كارزين سنة ٧٢٩هـ، حفظ القرآن و أَخذ عن أَبيه اللغة والأَدب. ويدخل في ذلك النحو والصرف وعلوم البلاغة، له مؤلفات كثيرة أشهرها " القاموس المحيط "، توفي سنة ٨١٧هـ. ينظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي: ٤٠٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز: ١/ ٤٧١

المبحث الأول: التناسب الخارجي

* المطلب الأول: التناسب مع سورة الطلاق.

نعلم أن من عادة القرآن أن يفتتح سوره بقضايا كبرى أو حوادث رئيسة، ثم تتخذ من تلك القضايا أو الحوادث منطلقات تنطلق منها إلى عرض قضايا أخرى جزئية ذات صلة بتلك الحادثة أو القضية الأم، وأجد الحال نفسه مع هاتين السورتين الكريمتين – سورتي الطلاق والتحريم – فهي تنطلق من قضايا أسرية كبرى مهمة؛ وتجعل من تلك القضايا قاعدة كلية تنطلق منها لرسم معالم وبيان هدايات تتعلق بالأسرة والمجتمع، فقضية الأولى هي الطلاق، تفصل في بيان أحكامه من نفقات وعدة وسكن وإرضاع. وأما قضية الأخرى فهي متصلة بحادثة جرت أحداثها في بيت النبوة، وتدور حول تآمر نسائه عليه – ﷺ – وإفشاء سره، ويرد فيها التهديد بالطلاق كعقوبة للمتظاهرتين، وما أوقعه من تهديد، لاسيما وأنه انفصال عن سيد البشرية وأفضلهم، وحين تعلم الزوجتان فوق ذلك ما يترتب على طلاقهما من مشكلات أشار إليها – سبحانه – في السورة السابقة هن في غناء عنها، وفي حقيقة الأمر ليس هناك شيء أشد ألماً على المرأة من طلاقها، لما فيه من هدم بيتها، وكسر قلبها وما يؤول إليه أمرها من الشتات، يقول الرازي[1] في بيان وجه المناسبة بين السورتين: " أما التعلق بما قبلها،

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، كان عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، اختُلف في سبب وفاته، وقيل مات مسمومًا سنة ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان: ٢٤٨/٤.

فذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء، واشتراك الخطاب بالطلاق في أول تلك السورة مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة، لما كان الطلاق في الأكثر من الصور أو في الكل كما هو مذهب البعض مشتملاً على تحريم ما أحل الله "[١].

بينما ينظر البقاعي إلى التناسب بين السورتين من زاوية أخرى فيربط بين آخر سورة الطلاق وأول سورة التحريم حيث ختمت سورة الطلاق بعلم الله الذي أحاط بكل شيء في قوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [سورة الطلاق:١٢]، بينما افتتحت سورة التحريم بما مضمونه يدل على سعة علمه سبحانه وهو اطلاعه على ما حصل في بيت النبوة من ذلك الاحتيال والتآمر وإحاطته به فيقول: " لما ختم سبحانه الطلاق بإحاطة علمه وتنزل أمره بين الخافقين في تدبيره، دل عليه أول هذه بإعلاء أمور الخلق بأمر وقع بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي من خير النساء " [٢]، ويشير السيوطي إلى التناسق النظمي في مفتتح السورتين فيقول:" هذه السورة متآخية مع ما قبلها في الافتتاح بخطاب النبيﷺ"[٣]، ثم يقول: "ولما كانت في خصام نساء الأمة، ذكر في هذه خصومة نساء النبي -ﷺ- إعظاماً لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة، ولذلك ختمت بذكر امرأتين في الجنة: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران" [٤]، ثم يشير إشارة لطيفة حول التناسب هنا فيذكر أنه مما ظهر له من وجوه تناسب سورة الملك مع الطلاق أن أول سورة الملك متصل بقوله تعالى في آخر سورة الطلاق: {اللَّهُ

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٦٨
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٩/٢٠
(٣) أسرار ترتيب القرآن: ١٤٤
(٤) السابق: ١٤٤

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَـزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَـاطَ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عِلْمًـا} [سـورة الطلاق:١٢]، لكنه سبحانه زاده بسطاً في سورة الملك فقال: {الَّذِي خَلَـقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَـلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [سورة الملك:٣]، ولكن فصـل بـين السـورتين بسـورة التحريم؛ لأنها كالتتمة لسورة الطلاق(١).

ويظهر لي أيضاً خيط آخر خفي يعقد بين خاتمة السورتين وهو أن الله – سبحانه – لما أشار في آخر سورة الطلاق إلى سعة علمه وأنه قد أحـاط بكل شيء علماً، ذكر ما يناسب ذلك وبما هو فـي مضـمونه فـي خاتمـة التحريم، وذلك لما ضرب ما ضرب مـن الأمثـال بـامرأتي نـوح ولـوط وحرمانهما من الاهتداء بنور أقرب الناس إليهما، وكـذلك امـرأة فرعـون المؤمنة الصابرة المحتسبة التي عاشت في كنف زوج طاغٍ، ورغم ما لقيت من العنت والعذاب الذي لايطاق فقد ربط على قلبها فصبرت وجاهدت حتـى لقيت ربها، وأيضاً مريم ابنة عمران آمنت وصـدقت رغـم كفـر قومهـا واتهامهم لها؛ فالذي أعمى بصيرة المرأتين الأوليين هو – سبحانه – الـذي أنار بصيرة الثالثة والرابعة، وكل ذلك بتقـدير وتدبير لأنه هـو العالم وحده – سبحانه – بمقادير الأمور وما ينبغي أن تجري عليه.

ولا يخفى علينا أيضاً التناسب بين خاتمة سورة الطلاق وفاتحة سورة التحريم "لأن المذكور في آخر تلك السورة، يدل علـى عظمـة حضـرة الله تعالى، كما أنه يدل على كمال قدرته وكمال علمه، لما كان خلق السـموات والأرض وما فيهما من الغرائب والعجائب مفتقراً إليهما وعظمـة الحضـرة

(١) أسرار ترتيب القرآن : ١٤٥

مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله، ولهذا قال تعالى: لم تحرم ما أحل الله لك"[١].

ولا يفوتني أن أشير إلى تقارب المعاني بين السورتين وخاصة فيما يتعلق ببيان عاقبة المؤمن والكافر يوم القيامة، وإليك من الآيات ما يدل على صحة ما ذهبت إليه، فيقول الله تعالى في سورة الطلاق: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [سورة الطلاق:١٠-١١] ويقابله في سوره التحريم قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة التحريم:٨]، وأما القوم الكافرون في سورة الطلاق فكانوا جماعات حيث يقول – سبحانه- عنهم: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [سورة الطلاق:٨]،. وفي سورة التحريم أفراداً وهما امرأتا نوح ولوط فيقول بعد أن ختم الحديث عنهما {وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [سورة التحريم:١٠] فهم في الحكم سواء، ويومئ ذلك الربط بين هذين الموضعين على أن المقصود بخيانة المرأتين الكفر لاشيء غيره، فمن تأمل في لطائف هاتين السورتين علم أن تناسباً كبيراً وترابطاً واضحاً بينهما.

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٦٨

*** المطلب الثاني: التناسب مع سورة الملك.**

يظهر لنا روعة الترتيب، وجمال التنسيق، وبديع التناسب في الاتصال بين سورتي التحريم والملك، وذلك أن الله – سبحانه – لما ذكر في خاتمة سورة التحريم من شأن امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون ومريم وتقدير الهداية لمن شاء منهن، أعقب ذلك في مفتتح سورة الملك بقوله: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فالذي بيده الملك قادر على فعل كل شيء ولو بدا مستحيلاً، وليس هذا العبد إلا فرداً من ذاك الملك، فهو الذي صرف قلبي المرأتين رغم توفر أسباب الهداية، وثبت قلبي آسية ومريم على الإيمان رغم قوة الموانع والصوارف وهو ما أشار إليه أيضاً الغرناطي فقال: "ولما كان أوقع في سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر وأعلى آية لمن استبصر من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين قد بعثهما الله – تعالى –رحمة لعباده واجتهادا في دعاء الخلق فحرم الاستنارة بنورهما، والعياذ بهداهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه، ولا أكثر مشاهدة لما مدَّا به من الآيات وعظيم المعجزات، ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، ثم أعقبت هذه العظة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جرأته، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة فقالت: رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك بها أولى الناس في ظاهر الأمر، وتقديم سبب امتحان سلم منه أقرب الناس إلى التورط فيه، ثم أعقب ذلك بقصة عريت عن مثل هذين السببين، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين وهو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن

القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير"(١).

أيضاً من وجوه المناسبة بينهما ذلك الالتحام العجيب بين مضمون السورتين وهو أنه لما ذكر في سورة التحريم أن القرابة لا تغني شيئاً إذا استوجب العبد دخول النار بكفره، بين في سورة الملك هذا الكفر الذي يوجب دخول النار فقال: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [سورة الملك:٦].إلى قوله { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ} [سورة الملك:٩] فدل على أن استحقاق المرأتين للنار إنما لكان لكفرهما(٢).

وأيضاً نجد من التناسب ما يظهر لنا بين مفتتح السورتين، وذلك أنه – تعالى – قال: " ما أحل الله "يشير إلى أنه الملك الذي لا أمر لأحد معه (٣)، ثم قال: "هو مولاكم " أي هو وحده المتولي أموركم والعالم بما يوافق مصلحتكم، ويناسب أحوالكم، وهذا ما يتناسب مع مفتتح سورة الملك الذي يثبت الملك والقدرة لله وحدة.

(١) البرهان في تناسب السور: ٣٤٢

(٢) ينظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن: ١٢٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢٠/ ١٨٠

المبحث الثاني: التناسب الداخلي

* المطلب الأول: التناسب بين اسم السور ومحورها.

كانت حادثة التحريم هي القضية الكبرى التي انطلقت منها السورة لاسيما وأنه لم يكن لذلك التحريم مسوغ غير محاولة إرضاء الغير، وإنما كان نتيجة تواطؤ نسائه – ﷺ – عليه بدافع الغيرة، ثم رأينا النظم القرآني ينطلق من تلك القضية إلى عرض قضايا جزئية مهمة تخص تربية الأسرة وبناء المجتمع، فلو نظرنا إلى مقاطع السورة وموضوعاتها وجدناها تدور في فلك قضية التحريم فالمقطع الأول عتاب ومغفرة، والمقطع الثاني يدور حول التربية بوجوب حفظ الأسرار وخاصة أسرار الزوجية لتحصل الثقة بين الزوجين ويستقر البيت المسلم، وفي المقطع الثالث تتوسع دائرة التربية الوقائية لتشمل النفس والأهل والمجتمع، وأما المقطع الرابع فينهج منهج التربية بضرب الأمثال بالنساء الغابرات لبيان مكافأة المحسن، وعقوبة المعاند.

* المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

تستهل السورة بالعتاب للنبي –ﷺ– على ما كان من تحريم لما أحل الله له بسبب نسائه الذين تآمرن عليه ودفعنه إلى ذلك الامتناع، ثم توجيه الأمر لهن بالتوبة مما يوجب العقوبة لولا حكمة الله وهو ذلك الاحتيال والتظاهر، بينما نرى الخاتمة تشير إلى زوجتي نوح ولوط عندما خالفتا وأعرضتا، فأدخلتا النار مع الداخلين ولم ينفعهما قربهما من زوجيهما، وفي طي هذا التمثيل تهديد للمتآمرتين، فكونها تحت عصمة نبي لايعني نجاتهما من سخط الله وعقابه انتقاماً لنبيه، ويفصح عن ذلك قوله تعالى" من عبادنا

" إظهاراً للعبد بأنه لا يترجح على الآخر عنده إلا بالصلاح[١]، وأيضاً يضرب المثل بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين رضي الله عنهن بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه إشارة إلى أن من حقهما أن يكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ[٢]، يقول الرازي: " وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين، وهما حفصة وعائشة لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر، وضرب مثلا آخر في امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، وقيل: هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت قصة إلقاء موسى عصاه، وتلقف العصا، فعذبها فرعون عذاباً شديداً بسبب الإيمان"[٣]، لكنني أقول كما أشرت إليه أن المقصود بالتمثيل الأول التهديد وبالثاني التعريض والله أعلم.

ويقول البقاعي في الربط بين أول السورة وآخرها: " وقد أتم سبحانه الأمثال في الآداب بالثيبات والأبكار والأخيار والأشرار، فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني بالآداب، وزاد ذلك حسناً كونها في النساء وفي الذوات والأعيان بزواج النبي -ﷺ- لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار الزواج الأبدي فصار أول السورة وآخرها في أزواجه -ﷺ- وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية في الأبدال المذكورات أعظم مناسبة "[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠/٥٧٥

(٢) مدارك التأويل وحقائق التنزيل: ٣/٥٠٩

(٣) السابق: ٣٠/ ٥٧٥

(٤) نظم الدرر: ٢٠/ ٢١٥

بينما يري السيوطي أن السورة بدئت بذكر أزواج النبي ﷺ ، وختمت بذكر زوجتين[١]، فجمعت بين الحديث عن أصناف مختلفة من الزوجات.

*** المطلب الثالث: المناسبة بين الآيات.**

لعلي نشير إلى القاعدة الذهبية التي تعين على إدراك أوجه التناسب بين الآيات فنقول إنها تكمن أساساً في النظر العميق في مقصد السورة وموضوعاتها عامة، فإنما جعلت تلك الآيات في الحقيقة لخدمة هذه المقاصد وتدعيم هذه الموضوعات [٢]، فمن تأمل لطائف السورة وعرف مقصدها وما ترمي إليه السورة وأيضاً موضوعاتها فقد شق طريقه لمعرفة وجوه المناسبة بين آياتها وكيف أنها انتظمت هذا النظام العجيب فجعلت هذه سابقة وتلك لاحقة.

وأجد البقاعي في كتابه " نظم الدرر " يفسر معنى البسملة حين تحدث عن مقصد هذه السورة الكريمة، ولعله يقصد بذلك أن يشير إلى أوجه الربط بين البسملة وفاتحة السورة، أو الآية التي تلتها، فيقول: " بسم الله الذي له الكمال كله على الدوام، الرحمن الذي عم عباده بعظيم الإنعام، الرحيم الذي أتم خواصه نعمة الإسلام " [٣]، ونقول إنه أتى بعدها بالنداء يا أيها النبي: أي يا أيها الذي أنعمت عليه بالنبوة والوحي والرسالة، وأتبعها بـ"لم تحرم ما أحل الله لك" أي من الطيبات التي أنعمت بها عليكم [٤]، فكأن في ذاك التحريم ما فيه من المشقة والتضييق على أمته.

---

(١) مراصد المطالع: ٧٢

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣٧٦/٣

(٣) ٢٠/ ١٧٩

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٨٧٢

ثم يبين الله-عز وجل- علة هذا التحريم وأنه لما يكن مستنداً على نص شرعي، ولا عذر معتبر في الشرع، وإنما كان محاولة لإرضاء خاطر الغير، فلم يتعلق بمصلحة عامة ولاخاصة، لذلك ناداه نداء البعيد وهو أقرب أهل الحضرة مع أنها معدة لما يكون ذا خطب جليل ومعنى جسيم، وفيها إيماء إلى إرادة الإسماع والتنبيه [١]على أن ما سيذكر بعده مما يهتم به النبي-ﷺ- والأمة ولأن سبب النزول كان من علائقه[٢]، وجملة " تبتغي مرضاة أزواجك "إما تفسيرٌ للفعل تحرم أو حالٌ من فاعلِه أو استئناف ببيان ما دعاه – سبحانه – إليه، أي أنه هو محل العتاب فهو سبب غير مسوغ كما ذكرنا للتحريم [٣]، يقول ابن عاشور:" ما تضمنه سبب نزولها أن أحدا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه... وتعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفراق "[٤].

واختلف المفسرون هل المفتتح هذا عتاب أم تنبيه ؟ والراجح عندهم أنه عتاب، على شاكلة عتابه – سبحانه – له – عليه الصلاة والسلام – في سورة التوبة وعبس، " لأن كليهما له علاقة بالجانب الشخصي سواء ابتغاء مرضاة الأزواج، أو استرضاء صناديد قريش، وهذا مما يدل على أن التشريع الإسلامي لا مدخل للأغراض الشخصية فيه "[٥]، لكنه عتاب جاء في

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٢٠/١٨٠

(٢) التحرير والتنوير:٢٨/ ٣٤٦

(٣) إرشاد العقل السليم: ٨/٢٦٦

(٤) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٣٤٥

(٥) أضواء البيان: ٨/٢١٩

ألطف عبارة وأرقها كما هو شأن عتابات الله لرسول ﷺ ، واختلفوا أيضاً هل المقصود بالتحريم الامتناع أو التحريم حقيقة ؟ فذكروا بأن المراد بالتحريم هنا الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كونه حراماً بعد ما أحله الله له، فإن هذا الاعتقاد لا يصدر منه – ﷺ – لأنه كفر(١).

وبعد التأمل والنظر أجد – والله أعلم – أن وجه اتصال هذه الآية بسابقتها وهي قوله تعالى: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [سورة التحريم:٢]، ذلك أنه–ﷺ– لما التزم عدم العود إلى ما صدر منه التزاماً بيمين، بين له – سبحانه– في تلك الآية المخرج من ذلك اليمين، "فهذه الآية استئناف بياني بين الله به لنبيه –ﷺ– أن له سعة في التحلل مما التزم تحريمه على نفسه، وذلك فيما شرع الله من كفارة اليمين فأفتاه الله بأن يأخذ برخصته في كفارة اليمين المشروعة للأمة كلها"(٢)، ولا يخفى علينا قيمة الواو في الربط في قوله " والله مولاكم " فهي حالية تفيد بعود الكلام على ما سبق من لفظ الجلالة(٣).

وأما قوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [سورة التحريم:٣-٥]. ففيه

(١) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٤/٢٠٥
(٢) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٣٤٧
(٣) إعراب القرآن: ٣/٣٥٧

تفصيل بعد إجمال، فإنه لما أشار في مفتتح السورة إشارة سريعة إلى ذلك التحريم فصل في هذا المقطع فذكر ما حصل بينه – ﷺ – وبين نسائه بشأن ذلك الأمر، ولاشك أن لهذا الأسلوب أثره في تمكين المعنى في النفس تمكيناً زائداً لوقوعه بعد الاستشراف والطلب، فهو أعز من المنساق بلا تعب، فإن الشيء إذا علم من وجه ما، تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة [١]، وكما هي عادة القرآن في السكوت عما ليس له علاقة بمقصد السورة، نجده – سبحانه – يعدل عن ذكر ما حرمه –ﷺ– على نفسه، وكذلك ما أسره إلى زوجاته، بينما نراه يركز على ما هو سبب العتاب والتأديب في الآية التالية ألا وهو إيداع السر ثم إفشائه ليرشد إلى أنه لابد أن تقوم الحياة الزوجية على الثقة المتبادلة بين الزوجين، فإن في فواته نقض لعرش الزوجية.

ولا شك أن في الالتفات للخطاب بعد الغيبة في قوله تعالى " إن تتوبا "ما يفيد المبالغة في العتاب، فإن المبالغ في ذلك يوجه الخطاب إلى من يريد معاتبته مباشرة [٢]، وهو شرط حذف جوابه للعلم به والتقدير: يكون خيراً لكما [٣]، وقيل تقديره: فقد كان منكما ما ينبغي أن يتاب منه [٤]، ولعل الثاني هو الأرجح لأنه ما بعد الشرط في الآية الكريمة يؤيد ذلك وهو قوله "صغت قلوبكما " أي مالت فهي تعليل وإبانة لسبب التوبة، وهنا تكمن بلاغة الحذف

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٣٢/٣
(٢) ينظر: التفسير الوسيط:١٤/ ٤٧١
(٣) مفاتيح الغيب: ٥٧٠/٣٠
(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٥/ ٤٥١

لجواب الشرط حتى تذهب نفس المتظاهرتين في تقدير هذا الحذف كل مذهب فتعلما أن وراء هذا الحذف غضب عارم، ثم يسوق بعد ذلك ما هو أشد من في التحذير والتأديب لأمهات المؤمنين وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما وأرضاهما في قوله: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} أي: وإن تتعاونا عليه وتستمرا في إفشاء سره. فإنه لا يعدم الناصر والمعين الذي يعينه عليكما، ونجده – سبحانه – أيضاً يحذف جواب الشرط لأن المقام مقام عتاب وتأديب فلا مجال فيه للإطناب والتفصيل، ونجد في هذه الآية الكريمة أقوى ألوان النصر والتأييد للرسول –ﷺ– وأسمى ما يتصوره الإنسان من تكريم الله– تعالى– لنبيه –ﷺ– ومن غيرته– عز وجل– عليه، ودفاعه عنه، كما تتضمن التعريض بأن من يحاول إغضابه –ﷺ– فإنه لا يكون من صالح المؤمنين، ويكمن سر إيثار صيغة الإفراد في قوله تعالى " ظهير " في الإشارة إلى أن هؤلاء الذي ذكرهم كالشيء الواحد في نصرته –ﷺ– وإعانته [1]، ولعل أيضاً في تخصيص جبريل – عليه السلام – بالذكر ما يدل على تعظيمه وإظهار مكانته.

وتزيد لغة العتاب حدة وقوة في قوله {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} وهذا ما يسمى بتصعيد المعنى فهو يترقى هنا من الأخف إلى الأغلظ والأشد، فأخبر عن قدرته على طلاقهن وأنه إن طلقهن أبدله خيراً منهن، ولعل في ذلك ما لا يمكن وصفه من إثارة الخوف والوجل في نفوسهن، فلا شيء أشد وأقوى على المرأة من طلاقها وشتات أمرها، ثم

(١) ينظر: الجواهر الحسان : ١٤/ ٤٧٢

شرع بعد ذلك وصف الأزواج اللاتي كان يبدله، فقال مسلمات: أي خاضعات لله بالطاعة يتوددن له – ﷺ- ولا يغضبنه ويتظاهرن عليه، وقيل: هي قائمات بالليل للصلاة، وهذا الأرجح لأنه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات هن الصائمات [١]، ثم قال تعالى: ثيبات وأبكاراً لأن أزواج النبي -ﷺ- في الدنيا والآخرة بعضهن كن من الثيبات وبعضهن كن أبكاراً، فالذكر هنا جاء على حسب ما وقع وقسم الله له، وفيه إشارة إلى أن تزوج النبي -ﷺ- ليس على حسب الشهوة والرغبة، بل على حسب ابتغاء مرضات الله تعالى[٢]، ولعله – سبحانه – جمع بين هاتين الصفتين الثيبات والأبكار بالواو لتنافيهما فلا يمكن اجتماعهما في امرأة واحدة [٣]، وقيل هنا: " هذا وعد من الله تعالى للنبي -ﷺ- بأن يزوجه في الجنة، والثيب: هي آسية امرأة فرعون، والبكر: هي مريم أم عيسى- عليه السلام- وهي ابنة عمران تكون وليته في الجنة، ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله تعالى هاتين المرأتين محمدا "[٤]، والتهديد هنا بالطلاق جاء على سبيل الإخبار عن القدرة لا على الكون [٥]، لاسيما وأنه – سبحانه- جاء بحرف الشرط " إن " التي تفيد وقوع الفعل أو عدمه [٦].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٧١

(٢) ينظر: السابق: ٣٠/ ٥٧١

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٢٥/٥

(٤) بحر العلوم: ٣/ ٤٦٩

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٦٨/٨

(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ١٨/٢ ٥، وشرح المفصل:٥/ ١١٤

وأما قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [سورة التحريم:٦-٩] ثم انطلق من حادثة المتظاهرين ليرسم للأسرة المسلمة هدايات ومعالم تضيء لها الطريق فيوجه حديثه – سبحانه- للمربي الأول الأب أو من يلي الأمر ويقول قوا أنفسكم بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم كذلك خذوهم بالتأديب والنصح فليأخذ بعضهم بيد بعض للنجاء من نار تتقد بالناس والحجارة كما أن غيرها يتقد بالحطب وفي اختيار الحجارة إيحاء إلى أنه أشد الأشياء حراً عند تسخينه كما أنه أسرع إيقادا "[(١)]، وفي تقديم " أنفسكم " ما يدل على أنه ينبغي على كل من ولي أمر أحد أن يبدأ بنفسه في الإصلاح ليكون قدوة لمن تحت أمره، ثم يذكر بعد ذلك عاقبة الأمرين الأول التهاون في حق الله تعالى ورسوله، والتفريط في تأديب النفس والأهل، فإنه يكون بهذا التهاون ومن يليه على خطر الوقوع في الضلال والكفر الموجب للنار، فأردف ذلك بالتهديد والوعد لتلك الطائفة فيقول يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم – وذلك حين يعاينون النار وشدتها – لأنه قد قدم إليكم الإنذار والإعذار، وأنى لهم أن تنفعهم تلك الأعذار يومئذ، فأعمالهم السيئة هي

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣١٦/٤

ألزمتهم العذاب، وبعد أن هدد وأوعد الفريق الأول انتقل للثاني يعد ويرغب أولئك الذي تداركوا تقصير أنفسهم وبادروا إلى إصلاح أهليهم في قوله " يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا..." فتابوا توبة لا يعودون معها إلى المعصية، ويوم التكريم بالنور والإجارة من الخزي هنا هو نفسه اليوم الي الذي لا يقبل فيه عذر اللاهين المفرطين، ولكنه اكتفى بتعريفه في الآية السابقة، والنصح هنا صفة للتائب فإنه هو الذي ينصح نفسه بالتوبة، ولكنه وصفت بها التوبة على سبيل المجاز لتفيد بذلك المبالغة في النصح [١] فهنيئاً لهم التكريم بالنور التام على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وهنا ملحظ لطيف في قوله " عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم " حيث ذكره بصيغة الإطماع ليبادروا إلى التوبة ويعملوا مايستحقون به التكفير ودخول الجنة، يقول البيضاوي: "وذلك جريا على عادة الملوك " [٢]؛ أي في عدم الجزم لهم بالوعد إشعاراً بأنه تفضل، والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء على الدوام، وفي قوله "والذين آمنوا معه " عطف على –'إحماداً لهم وصنيعهم في الدنيا وفيه أيضاً تعريضا لمن ناوأهم، وقيل: تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً[٣]، ويمكن أن يقال أنه – سبحانه – هنا يعرض كيف يقي الإنسان وأهله من تلك النار التي وصفها وخزنتها في الآيات السابقة، أيضاً هذه هي عادة القرآن المطردة وهي الجمع بين الترغيب والترهيب فيقدم منهما ما يناسب المقام فلما ارتبط سياق السورة ابتداءً بالعتاب والتأديب قدم التهديد، ولا يخفى علينا ما يكمن

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٢٥/٥

(٢) السابق : ٥/ ٢٢٦

(٣) ينظر: السابق : ٦/ ٢٢٦

في هذا التقابل بين الآيات من البلاغة في إظهار التباين بين حال الفريقين فإن بضدها تتبين الأشياء، ومن هنا تتجلى حكمة ذلك التضاد " في التشويق والثبوت على الأول" (١)، ثم يعود فيذكر – سبحانه – العقوبة العاجلة لأولئك المعاندين الذين حادوا عن الجادة في الدنيا وناوأوا المؤمنين المطيعين وهي جهادهم بالسنان واللسان والتخلي في ذلك الجهاد عن اللين والشفقة والرحمة التي جُبل عليها، ولعله – سبحانه – نوه بذلك لما سبق من رحمته بنسائه وحرصه على جبر خواطرهن فيما يتصل بحقه وحق ربه، فينبغي أن يأتي اللين حيث يُحمد، والشدة حيث تُطْلَب، الواو هنا في قوله " وبئس المصير " جاءت لتؤذن بالربط بين ما يليها وما سبقها، وتعلل سبب الأمر بالغلظة عليهم فلا هداية ترجى منهم بعد ذلك حين غضب الله عليهم وأعد لهم جهنم يصلونها وبئس المصير، فهي تنقل مشهد وحالة هؤلاء القوم يوم القيامة وما هم عليه من الذلة والهوان وما ينتظرهم من العذاب والنكال.

وأما المقطع الأخير من السورة الذي يبدأ بقوله: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [سورة التحريم:١٠-١٢].

(١) الموسوعة القرآنية:٢ / ٢٨٤

فتظهر مناسبته لما قبله في أنه لما أعذر -سبحانه- فيما سبق وأنذر - وهدد بالخزي والعذاب لمن أعرض وكفر، ووعد بالتكريم النعيم لمن امتثل وآمن، شرع في عرض نماذج لكلي الطرفين، فضرب لأهل الغواية والضلال بامرأتي لوط ونوح، وضرب لأهل النور والهدى بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران، يقول أبو السعود: " ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة في الغرابة "(١).

ففي الآيات بيان لحال امرأتي لوط ونوح الداعية لهما إلى الخير والصلاح والملحة على ذلك؛ حيث كانتا تحت عصمة نبيين عظيمي الشأن ومع ذلك حصل منهما ما ينافي ويضاد تلك الصحبة وهي خيانة الكفر والنفاق، فأدخلا النار مع الداخلين من غير محاباة، ولما أتم مثل النذارة بهذا الذي أشار فيه إلى أن طاعة المطيع لا تنفع العاصي وإن كان أقرب الناس إلى المطيع، أتبعه مثل البشارة بأن عصيان العاصي لا يضر المطيع وإن كان أقرب الناس إليه، فلا تزر وازرة وزر أخرى، فجاءت الآية التي تليها مبينة لحال امرأة فرعون وكيف أن صلتها بزوجها أعدى أعداء الله لم تضرها بل كان صبرها وتضحياتها من أجل الثبات على دينها سبباً في دخولها الجنة، ويختم بحال مريم ابنة عمران في عفتها وطهرها وتصديقها وصبرها على قومها وما أوتيت بسبب ذلك من الكرامة في الدنيا والآخرة وأيضاً الاصطفاء على نساء العاملين(٢)، فليتأدب كل أحد مع النبي -ﷺ- غاية الأدب خوفا من مثل ذلك، وهذا خالع لقلوب من ابتدأ - سبحانه -

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٨/ ٢٦٩

(٢) ينظر: السابق : ٨/ ٢٦٩

بتأديبهن –رضي الله تعالى عنهن – في مفتتح السورة[١]، ويلتزم سبحانه هنا الربط بالفاء فتأخذ كل جملة بعناق الأخرى، لنشعر وكأننا أمام أحداث تتسلسل لترسم لنا صورة المرأتين بعد ذلك واضحة جلية.

يقول البقاعي: "ولما كان أمر الاستئصال في الإنجاء والإهلاك أشبه شيء بحال أهل الآخرة في الدينونة بالعدل والفضل، وكان المفتتح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع بالأمر بالتأديب لجميع الأمة إلى أن ختم بهلاك المخالف في الدارين "[٢].

* المطلب الرابع: التناسب بين رؤوس الآيات وفواصلها.

إن الكشف عن وجوه مثل هذا النوع من التناسب مما يعين على الوقوف على التناسب المعنوي والإيقاعي في الآيات، ومن ثم معرفة أثره في بلاغة القرآن الكريم.

ويجدر بنا قبل أن نشرع في بيان ذلك في السورة أن نعرف الفاصلة ورأس الآية، قيل هي: " كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وتقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام "[٣].

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ٢٠/٢١٠

(٢) السابق: ٢٠/ ٢٠٧

(٣) بتصرف: البرهان في علوم القرآن: ١/٥٣

وفرق أبو عمرو الداني [١]بين الفواصل ورءوس الآي فقال " أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رءوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين"[٢].

والذي يهمنا هنا الآن هو أن أوضح بالأمثلة كيف جمع القرآن الكريم في فواصله في سورة التحريم بين الوفاء بحق المعنى وتناسب الفواصل بطريقة محكمة.

١- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة التحريم:١].

في افتتاح العتاب هنا من حسن التلطف والتطمين ما لا يخفى، فنحن نعلم أنه – سبحانه- عاتب نبيه -ﷺ- على إتعاب نفسه والتضييق عليها بتحريم ما يحبه من أجل مرضاة أزواجه، وتتجلى أولى مظاهر التلطف في الخطاب بلفظ النبوة، فهو مشعرٌ بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، "ويلائمه أشد الملاءمة خلو البال وسرور القلب وانشراح الصدر لأنه للتلقي عن الله تعالى فيحث كل سامع على البعد عن كل ما يشوش عليه

(١) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، نسبة إلى دانية إحدى مدن الأندلس، القرطبي الأموي بالولاء، المعروف في زمانه بالصيرفي، الإمام العلامة الحافظ شيخ مشايخ المقرئين. دخل المشرق فحج وزار مصر وعاد إلى بلاده فتوفي بها.ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣١٧/١٣

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٥٣-٥٤

– ﷺ– أدنى تشويش"[١]، وهذا الأسلوب مطرد في كل نداءاته – ﷺ– في القرآن الكريم، فلا يناديه الله – عز وجل – باسمه العلم كما يخاطب سائر الرسل بقوله «يا إبراهيم، يا نوح، يا عيسى بن مريم» وإنما يخاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة، وذلك أعظم دليلٍ وبرهانٍ على أنه صلوات الله عليه أفضل الأنبياء والمرسلين [٢]، ولو تجرد العتاب من هذا الوصف المؤنس لكان الكلام أكثر إخافة وهيبة يقول أبو حيان: " نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم لم تحرم: سؤال تلطف، ولذلك قدم قبله يا أيها النبي" [٣]، وكذلك إيثار الاستفهام ففيه من الإيناس ما فيه، وكل هذه المعاني تتناسب تناسباً كلياً مع ختام الآية، حيث ذيلها – سبحانه– بجملة " والله غفور رحيم " استئناسا للنبيء – ﷺ – من وحشة هذا الملام [٤]، أي بليغ المغفرة لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك، رحيم بك حين امتنعت عن ما تحبه وتميل إليه فشرع لك الكفارة لتخرج بها من يمينك.

٢– {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [سورة التحريم:٢].

أمر الله نبيه – عليه السلام – أن يكفر عن يمينه لِمَا علم أن تحريمه لم يرتبط بمصلحة عامة ولا خاصة، ولم يكن لعذر معتبر في الشرع، فهو وحده – سبحانه –بالأصلح في كل الأمور، وفي تذييل الآية الكريمة بقوله:

---

(١) نظم الدرر: ٢٠/١٨٠

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: ٣/ ٣٨٣

(٣) البحر المحيط في التفسير:١٠/ ٢٠٧

(٤) التحرير والتنوير:٢٨/ ٣٤٧

"العليم الحكيم " من تمام المناسبة وكمال الملاءمة ما لا يخفى على متأمل، فمعناه "العليم بما يصلحكم فيحملكم على الصواب والرشد والسداد وهو الحكيم فيما يشرعه، أي يجري أحكامه على الحكمة. وهي إعطاء الأفعال ما تقتضيه حقائقها دون الأوهام والتخيلات "(١).

٣- {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [سورة التحريم:٣].

لما افتتحها سبحانه بأمر إسراره – عليه الصلاة والسلام – لزوجه بذلك الأمر واستئمانها علي كتمانه (٢)، فأذاعته وما كان ينبغي أن يحصل ذلك منها، كان في تذييل الآية الكريمة بقوله: " العليم الخبير" إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزما لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها، وأن إذاعتها- ولو في أضيق الحدود- لا تخفى على الله- عز وجل- لأنه- سبحانه- عليم بكل معلوم، ومحيط بخبايا النفوس وخلجاتها(٣).

٤- {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [سورة التحريم:٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٣٤٨

(٢) كنى عنها صيانة لهن لأن حرمتهن – رضي الله عنهن – من حرمته ‘، نظم الدرر: ١٨٥/٢٠.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط: ٤٨٠/١٤

أي تتوبا من إفشاء أسراره والتآمر عليه كان ذلك خيراً لكما فهذا مما يوجب التوبة، وإن تستمرا في التعاون عليه فأعوانه عليكما أقوى وأعظم. وتأتي في ختام الآية كلمة " ظهير " وفي هذا ما يسمى برد العجز على الصدر لما تقدمه من التجنيس في قوله " تظاهرا "، وأيضاً في جعل الظهير واحداً بدلاً من قوله ظُهَراء أو ظُهَرَا، إشارة إلى أنهم كالشيء الواحد في نصرته إعانته، وتكمن هنا في النظم القرآني أعظم صورة للتقابل فبعد أن صورة التظاهر الضعيف بين زوجاته – رضي الله عنهن – أردفه بهذا التظاهر القوي وليس ذاك إلا إبلاغاً في التهويل والتخويف، لأن الواحد من هؤلاء المذكورين يكفي لأزواجه "[1].

٥- {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [سورة التحريم:٥].

طلقكن:أي أزواجه ﷺ ، ثم جاء التذييل بقوله " ثيبات وأبكارا " وهاتان الصفتان قد وجدتا في أزواجه عليه الصلاة والسلام. وقيل المراد بقوله "طلقكن " حفصة عائشة، وكن ثيباً وبكراً، فجاء التذييل في الآية وهو آخر ما يقرع الأسماع بقوله " ثيبات وأبكارا" فأراد أن يخص بالإبدال من كن بهذا الوصف[2]، ويقول الماتريدي[3]: "جمع بين الثيبات والأبكار؛ لأن الثيبات مما يقل رغبة الخلق فيهن، وينفر عنه الطبع، فجمع بينهما في موضع الامتنان

(١) تأويلات أهل السنة:١٠ / ٨٤

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٨٨/١٠

(٣) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ. ينظر: الأعلام: ١٩/٧

على الرسول ﷺ ؛ لئلا تصرف كل الرغبة إلى الأبكار، بل يتزوجوا الثيبات كما يتزوجون الأبكار"(١).

٦- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة التحريم:٦].

يقول – سبحانه – امتثلوا أمر ربكم، وانتهوا عما نهاكم عنه، وأوصوا أهليكم بتقوى الله وأدبوهم، فإن على النار ملائكة تمتثل أمر ربها، لا تتوانى في إلقاء العصاة في النار بلا أدنى رحمة، غلاظ على أهلها، شداد عليهم ، وهذا الوصف الخالع للقلوب كفيلٌ بردعهم وامتثالهم.

٧- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [سورة التحريم:٧].

وبعد السؤال الذي يفترضه من هؤلاء الكفار لماذا ربنا لا تقبل أعذارنا؟ يأتيهم الرد مباشراً إنما " إنما تعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها" (٢)، وهنا تكمن بلاغة الفصل بين الجملتين، وفي هذا "قطع لرجائهم وإيجاب لباسهم ليعظم همهم وتنقطع قلوبهم"(٣).

٨- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ

(١) تأويلات أهل السنة : ٨٨/١٠

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٩٢/٢٣

(٣) نظم الدرر: ١٩٩/٢٠

النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة التحريم:٨].

لما أمر بالتوبة النصوح وذكر المغفرة ودخول الجنة وإتمام النور يوم القيامة أتى بفاصلة تتناسب مع ذلك كله وهي قوله " إنك على كل شيء قدير " أي لايقدر على فعل كل هذا الإكرام والإنعام للمحسن أحدٌ غيرك.

٩- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [سورة التحريم:٩].

بعد أن أمر – سبحانه- بجهادهم والإغلاظ عليهم بالقول والفعل، فإن لاعصمة لهم ولا حرمة في الدنيا وإن "الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين لأهل الله من خشية الله" [١]، ولذلك جعل فاصلة الآية بياناً لعاقبة أمرهم حتى وإن قويت شوكتهم واشتد عودهم فمآلهم جهنم يصطلون حرها ويعانون غلظة خزنتها وشدتهم، ولعل في هذا من التيئيس للنبي – ﷺ- من هدايتهم مافيه.

١٠- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [سورة التحريم:١٠].

قطع اللهُ بهذه الآية طمَعَ مَن ركب المعصية، ورجا أن ينفعه صلاح غيره [٢]بقوله ادخلا النار مع الداخلين أي مع بقية العاصين ممن ليس لهم وصلة بنبي أي بدون محاباة، وحقيقة القول " قيل ادخلا" إنه يقال لهما في

(١) السابق: ٢٠٦/٢٠

(٢) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧/ ٩٠

الآخرة ولكنه أتي بصيغة الماضي على سبيل التحقيق والتأكيد، وكما أشرنا "يخوف عائشة وحفصة – رضي الله عنهما – بتظاهر هما على النبي –ﷺ– فكذلك عائشة وحفصة إن عصيتا ربهما لم يغن محمد– ﷺ – عنهما من الله شيئا"(١).

١١– {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [سورة التحريم:١١].

كذلك يقرر – سبحانه – أن القرب من العصاة لايضر الطائعين، فلما ذكر في البداية أنه للذين آمنوا وصدقوا وجعل الخاتمة نجني من القوم الظالمين بمعنى أنها كانت تحت رجل ظالم فدل عليه بفاصلة الآية بخلاف سابقتها حين صرح به فقال " تحت عبدين صالحين ".

١٢– {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [سورة التحريم:١٢].

لما ذكر – عز وجل – ما ذكر من إحصانها لفرجها، وتصديقها بكلمات ربها، كانت فوق ذلك قانتة، ونلحظ هنا أضاف الإحصان إليها، وأضاف التطهير هاهنا إلى نفسه، فوجه إضافة الإحصان لأنها تكلفت الأسباب التي هي أسباب الموانع للزنى(٢)؛ الدواعي إلى الإحصان، وأضاف إلى نفسه التطهير في قوله: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤/ ٣٧٩

(٢) غضت البصر واتخذت بين نفسها وبين الناس حجاباً؛ لئلا يقع بصر الناس عليها، ولا يقع بصرها عليهم لتصل به إلى تحصين فرجها، ينظر: تأولات أهل السنة: ٩٩/١٠.

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [سورة آل عمران:٤٢]؛ لأن وقوع ذلك وحصوله كائن به، ففيه دلالة أن كل فعل من أفعال العباد لا يخلو من أن يكون لله – تعالى – فيه صنع وتدبير [١]، وقيل " من القانتين " ولم يقل القانتات، لأنه لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على إناثه [٢]، وقيل: إنه غلب التذكير؛ إشارة إلى أن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكمَّل. وقيل: يجوز أن يكون "من" ابتدائية؛ لأنها كانت من أعقابه هارون، فيكون مدحاً لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحسب[٣]، فإذا كان على القول بأن المقصود هنا هو أنها كانت من أعقاب هارون، فيدل قوله تعالى " كانت من القانتين "على أن صلاح أصلها هو سبب إحصان فرجها وتصديقها لكلمات ربها والله أعلم.

(١) السابق : ٩٩/١٠

(٢) مدارك التأويل وحقائق التنزيل: ٥٠٩/٣

(٣) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني: ١٩٤

الخاتمة:

وبعد. فتلك محاولة متواضعة للكشف عن أوجه التناسب في تلك السورة المباركة، عجيبة التآلف، ومتناسبة النظم، وقد استطعت بعد إتمامه أن أصل إلى النتائج التالية:

١- الحديث عن التناسب في القرآن حديث رائع ومشوق؛ لأنه علم يعرف به علل ترتيب سور القرآن.

٢- أهمية البحث في مناسبات القرآن الكريم؛ لعظيم أثره في إظهار معاني القرآن وفي إبراز هذا الوجه من وجوه إعجازه، وهذا ما تجلى لي في بحثي هذا.

٣- التكامل والترابط العجيب بين السورة والسورة التي قبلها (الطلاق) وبعدها (الملك).

٤- الانسجام الكلي بين اسم السورة ومحورها وبين فاتحتها وخاتمتها وبين آياتها وصولاً إلى الانسجام بين رؤوس آياتها وفواصلها، فالسورة في مجموعها تمضي في سياقات متآلفة، وبأسلوب مترابط ومتناسق.

٥- التناسق بين موضوعات السورة فكلها كانت تهدف إلى رسم هدايات ومعالم تسهم في تربية الأسرة وبناء المجتمع المسلم.

٦- اتبعت السورة في التربية أسلوب ضرب الأمثال.

٧- اتكأ النظم في تلك السورة المباركة في الربط بين الآيات على وسائل معنوية ولفظية جاءت على النحو التالي:

١- مجيء الواو في مستهل بعض الآيات في موضع الاستئناف لإثارة التدبر والتفكر وذلك في قوله " وإذ أسر".

٢- تكرار فواتح بعض الآيات مثل قوله " ضرب الله مثلاً ".

٣- اتكأ نظم السورة على الربط بأداتي العطف الفاء والواو.

٤- عمد النظم في السورة المباركة إلى الربط بين الآيات عن طريق ظرف الزمان "اليوم".

٥- الربط باسم الإشارة " هذا " في قوله " من أنباك هذا " و " ذلك " في قوله " بعد ذلك" .

٦- التجنيس أو المجانسة كما بين قوله " تظاهرا" و" ظهير".

ومن طرائق الربط المعنوي والذي كان أبرز عناصر الوحدة والربط في السورة ما يلي:

١- اقتران القضية بأسبابها ونتائجها.

٢- التناسب بين الآيات والتعقيبات التي تختم بها كأسماء الله وصفاته فقد كانت من الروابط التي أسهمت في ترابط السياق، وتآخي معاني الآيات وخواتم الآيات من غير الصفات أسهمت كذلك في تواشج العلاقات بين الآيات.

٣- الإجمال والتفصيل كما ظهر لنا بين الآية الثالثة والأولى.

٤- التعريض، وأبرز موضع جاء الربط فيه عن طريق التعريض بين فاتحة وخاتمتها.

٥- التقابل؛ وأبرز ما تحقق الربط فيه عن طريق التقابل وإلحاق الشيء بنظيره حديث الترغيب والترهيب، كذلك الحديث عن النساء الغابرات كافرات ومؤمنات.

٦- التعليل، وظهر في قوله " تبتغي مرضاة أزواجك " وقوله " إنما تجزون ما كنتم تعملون".

٧- الاقتضاء، وظهر في الآية الثانية لما أقسم النبي بيمين على منع العسل لغير مسوغ شرغي في الآية الأولى اقتضى منه التكفير عن تلك اليمين وهو ما أفصحت عنه الآية الثانية.

٨- التمثيل، وذلك في ضرب المثل في النساء الغابرات.

٩- التخصيص، في قوله " ثيبات وأبكارا "إشارة إلى عائشة وحفصة دون بقية أزواجه ‘.

ومما توصي به الباحثة في ختام هذا البحث التوجه إلى مثل هذا النوع من الدراسات القرآنية والجديرة بالبحث والتأمل وذلك لإثراء ميدان الدرس القرآني وتقديم النفع والفائدة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤. أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥مـ.
٦. إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٧. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٠. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبدالحميد النوتي، دار الكتب العلمية – بيروت.
١١. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
١٢. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي الصوفي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.
١٣. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.
١٤. البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ المغرب، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
١٥. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.
١٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ط.

١٨. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
١٩. تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢٠. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
٢١. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٢. تفسير القرآن ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٣. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٢٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٥. تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

٢٦. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٢٧. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، لعبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الطبعة الأولى،٢٠٠٨م.
٢٨. التناسب البياني في القرآن – دراسة في النظم المعنوي والصوتي، لأحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس – المملكة المغربية.
٢٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعةالأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٣٠. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي شمس الدين القرطبي،،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٣٢. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.
٣٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٣٥. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٣٦. شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٧. صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٨. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٣٩. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، رسالة دكتوراه، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٤٠. غريب الحديث، لأبي الفرج جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
٤١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان ابن لطف الله القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٢. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٤٥. مصاعد النظر إلى مقاصد السور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٧. معجم أعلام شعراء المدح النبوي، لمحمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى.

٤٨. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، د.ط .

٤٩. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٥٠. مفردات القرآن، لعبد الحميد الفراهي الهندي، المحقق: د/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
٥١. المكي والمدني في القرآن، إعداد / رنا أحمد بسام القدسي، إشراف / فضل حسن عباس، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، ١٤١٤ه-١٩٩٣م.
٥٢. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م.

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
سورة الطلاق	
{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [آية:٨]	٢٤٤٦
{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [آية:١٠،١١]	٢٤٤٦
{وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [آية:١٢]	٢٤٤٤
سورة التحريم	
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آية:١]	٢٤٣٩
{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [آية:٢]	٢٤٥٣
{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [آية:٣]	٢٤٥٣
{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [آية:٤]	٢٤٥٣
{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [آية:٥]	٢٤٥٣ ، ٢٤٥٥

الآية	الصفحة
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [آية:٦]	٢٤٥٧، ٢٤٦٦
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [آية:٧]	٢٤٥٧
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آية:٨].	٢٤٤٥
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آية:٩].	٢٤٥٧
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [آية:١٠].	٢٤٥٩
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [آية:١١].	٢٤٥٩
{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [آية:١٢].	٢٤٥٩
سورة الملك	
{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آية:٦]	٢٤٤٨
{ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ} [آية:٩]	٢٤٤٨

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
"ولكني كنت أشرب عســـلا عند زينب بنت جحش...."	٢٤٣٨
"ولكن سقتني حفصة عسلاً...."	٢٤٣٩

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
أبو بكر النيسابوري	٢٤٣٥
الغرناطي	٢٤٣٦
البقاعي	٢٤٣٦
السيوطي	٢٤٣٦
عبد الله بن الزبير	٢٤٣٧
قتادة	٢٤٣٧
البخاري	٢٤٣٨
الطبري	٢٤٣٨
الصنعاني	٢٤٣٩
هشام بن عروة	٢٤٣٩
ابن كثير	٢٤٤٠
الفراهي	٢٤٤١
الفيروز آبادي	٢٤٤٢
الرازي	٢٤٤٣
الداني	٢٤٦٢
الماتريدي	٢٤٦٥

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٤٢٩
٢-	Abstract	٢٤٣٠
٣-	مقدمة	٢٤٣١
٤-	تمهيد	٢٤٣٥
٥-	* علم التناسب	٢٤٣٥
٦-	* سورة التحريم	٢٤٣٧
٧-	المبحث الأول: التناسب الخارجي	٢٤٤٣
٨-	* المطلب الأول: التناسب مع سورة الطلاق	٢٤٤٣
٩-	* المطلب الثاني: التناسب مع سورة الملك	٢٤٤٧
١٠-	المبحث الثاني: التناسب الداخلي	٢٤٤٩
١١-	* المطلب الأول: التناسب بين اسم السور ومحورها	٢٤٤٩
١٢-	* المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها	٢٤٤٩
١٣-	* المطلب الثالث: المناسبة بين الآيات	٢٤٥١
١٤-	* المطلب الرابع: التناسب بين رؤوس الآيات وفواصلها	٢٤٦١
١٥-	الخاتمة	٢٤٧٠
١٦-	المصادر والمراجع	٢٤٧٣
١٧-	فهرس الآيات	٢٤٨٠
١٨-	فهرس الأحاديث	٢٤٨٢
١٩-	فهرس الأعلام	٢٤٨٣
٢٠-	فهرس الموضوعات	٢٤٨٤

تم بحمد الله